الاستشراق والثقافة الجزائرية

أولى ماستر أدب جزائري المحاضرة 4

تعريف الاستشراق لغة واصطلاحا:

الإستشراق في اللغة: جاء في معجم لسان العرب (الاستشراق في اللغة مشتق من مادة شرق أي شرق أذنها شرقا إذا شقها، والخرقاء أن يكون في الأذن ثقب مستدير والشاة شرقا أي مقطوعة الأذن).

أما في معجم الوسيط (الاستشراق مشتق من كلمة شرق وهي شروق الشمس). والاستشراق في قاموس المحيط يعني الشرق أي الشمس حين تشرق، يقال :طلعت الشرق ولا يقال غربت الشرق، ونقول الشرق:الشجاُ والغصة يقال شرق الرجُلُ بريقه: إذا غص به. والتشريق الأخذ من ناحية الشرق.

الاستشراق في الاصطلاح:

تعددت تعاريف الاستشراق عند الباحثين واختلفت أحيانا، ونذكر منها:

يراد بالاستشراق **عند أحمد حسن الزيات**" دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه و لغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته، وأساطيره.

وجاء على لسان **عبد الله محمد الأمين النعيم** في كتابه (الاستشراق في السيرة النبوية) قوله:

يعرف بعض الباحثين مفهوم الاستشراق (بأنه ذلك التّيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي الذي شملت حضارته وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع بينهما.

وعند الباحث إدوارد سعيد: الاستشراق هو فرع من فروع المعرفة الذي تناول به الشرق بطريقة منظمة من حيث هو موضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق، وقد يكون الاستشراق مطلبا استعماريا حيث يدرس الشرق سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وإيديولوجيا وعلميا لهدف استعماري.

الاستشراق في الجزائر:

نشأة الاستشراق الفرنسي:

أراد الفرنسيون التطلع إلى شمس الشرق المعرفية واكتشاف كنوزه وخباياه، ولهذا الغرض أقبلوا على تعلم اللغات الشرقية، ومن ثم العكوف على الدراسات العربية الإسلامية، هذه الأخيرة قد ميزت المدرسة الفرنسية عن غيرها من المدارس.

نشأة الاستشراق الفرنسي: يُعد الاستشراق الفرنسي من أهم المدارس الاستشراقية وأقدمها تاريخا، فقد نشأت صلات بين فرنسا والشرق الأدنى منذ غزا العرب مقاطعات منها، واستمرت في محاولة تعاون الرشيد وشارلمان على الخلافة الأموية في قرطبة والإمبراطورية البيزنطية أما الاهتمام الكبير لفرنسا بالعالم العربي والإسلامي، فكان في مرحلة الحروب الصليبيةles croisades ، التي كان لفرنسا الدور الفعال فيها. وقد اختلفت الرؤى حول بداية الاستشراق الفرنسي فمنهم من يرى أن البداية تعود إلى مؤتمر فيينا، في حين هناك من يعتبر الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 م هي البداية الحقيقية للاستشراق الفرنسي حيث قام المستشرقون بدراسات مختلفة نشرت في كتاب "وصف مصر"، أما الاستشراق الفرنسي ببعديه السياسي والاستعماري فيعود إلى عهد الملك فرانسوا الأول سنة 1547م ، الذي يُعد أول سياسي يفكر في أهمية تعليم اللغات الشرقية وخاصة العربية. كما أنشأ كرسيا للغة العربية والعبرية سنة 1519م، ومعهد فرنسا كوليج دو فرانس سنة 1530م تجاه السوربو Sorbonne) .

خصائص الاستشراق الفرنسي: تميزت المدرسة الفرنسية بسمات نذكر منها:

- لعبت جامعة السوربون دورا مهما في تنشيط الدراسات الشرقية في فرنسا.

- ترعرع الاستشراق الفرنسي في معهد اللغات الشرقية.

- اعتماد الاستشراق الفرنسي على الرهبان والقساوسة.

-ترك بصماته الواضحة على التعليم في إفريقيا وخاصة في شمالها.

الجمعيات الاستشراقية الفرنسية التي ظهرت في الجزائر:

بعد ظهور جمعيات في فرنسا، كان الغرض منها استعماري بالدرجة الأولى، ظهرت جمعيات داخل الجزائر نذكر منها:

1-الجمعية الأثرية لقسنطينة: أقدم الجمعيات في الظهور هي الجمعية الأثرية في قسنطينة -هذا إذا استثنينا الجمعيات الماسونية والجمعيات السرية لا سيما منذ 1848م- التي تأسست في ديسمبر 1852م من طرف العقيد كروللي) Crowley) والمستشرق شيربونو)Cherbonneau)؛ الذي كان أستاذا لحلقة اللغة العربية في المدينة، وشارل بروسلار) Brosselarard Charles)الذي كان رئيسا للمكتب العربي، فقد كانت الجمعية مؤلفة من عسكريين ومدنيين، فيهم الجنرالات والعقداء في الجيش، وفيهم المعلمون والأطباء ورجال الكنيسة وعلماء اليهود.

2-الجمعية التاريخية الجزائرية: تأسست هذه الجمعية ، بمبادرة من الجنرال الفرنسي راندون(Randon) (وذلك يوم 7 أفريل 1856م والذي أصبح الرئيس الشرفي لها وقد جاء في قانونها أن الهدف من إنشائها هو "دراسة كل المعلومات المتصلة بتاريخ إفريقية ولاسيما المعلومات التي تهم الجزائر، من العهد اللوبي(الليبي) إلى نهاية العهد التركي ، وقد أصدرتُ الجمعية مجلة عرفت باسم "المجلة الإفريقية" التي ظهر أول عدد لها في أكتوبر

1856م واستمرت إلى غاية مارس 1962م،ومن الأهداف المعلنة للمجلة نشر المخطوطات المحلية والعربية، وتسليط الضوء على تاريخ الجزائر في مختلف عصوره.

3-جمعية البحث العلمي – أكاديمية هيبون-: في سنة 1863م بعنابة تأسست جمعية للبحث العلمي، عرفت فيما بعد باسم أكاديمية هيبون، التي اهتمت بالشرق الجزائري على العموم، وكان يظهر عليها الطابع الأثري والديني، وقد وضع بعض المستشرقين أنفسهم بمحض إرادتهم في خدمة الاحتلال.

4-الجمعية الجغرافية لإقليم وهران: تكونت هذه الجمعية سنة 1878م، برئاسة الضابط البحري تروتاباس Trutapas) ،)حيث ركزت هذه الجمعية بالخصوص بالجنوب والغرب الجزائري والمغرب الأقصى الذي أخذت الاهتمامات الفرنسية تلتفت إليه، كما اهتمت بقضايا الصحراء، وقد أسست هذه الجمعية المتحف الأثري والفني لمدينة وهران، وأصدرت بدورها نشرة تهتم بالدراسات التاريخية والأثرية لمنطقة الغرب الجزائري. ومن المستشرقين المساهمين فيها نذكر: رينيه باصيهRené Basset تلميذه ألفريد بيل Bel الذي أقام ردحا من الزمن في شمال إفريقيا، مديرا لمدرسة تلمسان، حيث درس تاريخها وجغرافيتها وآثارها، ووصف أبنيتها وفك رموز نقوشها وكتاباتها، أما موريس فقد قام بدراسات استطلاعية واستكشافية وهذا بطلب من الجنرال لابرين(Labrin) حول منطقة الطوارق –الهقار– حيث تعلم لهجة التماشق بالإضافة إلى معرفته اللغة العربية.

علاقة الاستشراق بالاسدمار الفرنسي:

نكتفي في هذا المجال بإيراد شهادتين عن تورط المستشرقين في دعم الاسعمار الفرنسي وتسهيل عمله الاستعماري للجزائر ولكل الشعوب المستعمرة:

يقول الأستاذ أحمد سمايلوفتش: "أن هناك أدلة عديدة للعلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار لا حاجة بنا إلى سردها والبحث فيها، لأن معظم المستشرقين في القرنين الثامن

عشر والتاسع عشر وحتى القرن العشرين كانوا يعملون في وزارة الخارجية وعلى رأسهم المستشرق أرنيست رينان ، الذي كان يعمل مع الاستعمار الفرنسي، والذي استطاع أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه، وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين . "

ويجدر بنا أن نشير إلى اعترافات الفرنسيين أنفسهم بالدور الذي قام به المستشرقون حيث يقول أحدهم: "يتمنى الوالي العام أن يستفيد من هؤلاء المستشرقين ويستخلص منهم بعض الأفكار التي ستسهل عملية تسيير شؤون الجزائر ، أما المستشرق أدريان بروجر فكتب يقول: "لقد حان الوقت لكي نعمل كل ما في وسعنا من أجل أن نؤكد للوطن الأم بأن الجزائر في إمكانها أن تصبح مركز قوة لفرنسا"، أما زميله شربونو فقد سجل انطباعا حسنا حول الأعمال التي قام بها بروجر فقال: "لقد سخر أجمل سنوات عمره وذكائه من أجل انتصار مستعمرتنا.